

**مدرسة الحوليات الفرنسية – دعوة جديدة لكتابة التاريخ –**

أ. زينة جوادة ، أ.د. بنادي محمد الطاهر .

جامعة محمد خيضر – بسكرة ، (الجزائر)

Email : zinadjouada@gmail.com

تاريخ الاستلام : 2019/11/06 ؛ تاريخ القبول : 2019/12/30 ؛ تاريخ النشر : 2020/07/20

**ملخص:**

يهدف هذا الطرح إلى إلقاء الضوء على واحدة من المساهمات التي اضطلعت بها إحدى المدارس التاريخية الحديثة – وهي مدرسة الحوليات الفرنسية – للتحكم في زمام منهج البحث التاريخي ، و السير به قدماً ، مع التعريف بها و ظروف نشأتها ، و الوقوف عند أهم الطروحات الجديدة التي تبنتها ، و أبرز الانتقادات الموجهة إليها ، كما سعينا للوقوف عند المؤرخ العربي و موقفه من التوجهات الجديدة التي أدلت بها مدرسة الحوليات في دراسة التاريخ و تطوير منهجه .

**الكلمات المفتاحية:** تاريخ ، حوليات ، تاريخ الجديد ، مؤرخ العربي ، منهج البحث التاريخي

**Abstract**

The purpose of this proposition is to reveal that a modern school of history and modern historical schools are leading the way in controlling historical research methods with their definitions and conditions , adopting and criticizing them ,we also try to stand in the position and new direction of Arab historian , and the development of annals School in historical research and methods.

**Keywords:** History, Yearbook , New History, Arab Historian, Historical Research, Methodology.

**مقدمة:**

عكفت جلّ الأمم على تدوين تاريخها و تثبيته بشئى الوسائل و الطرق ، باعتباره ذاكرتها و مجد فخرها ، فالكتابة التاريخية في حدّ ذاتها قطعت أشواطاً طويلة لبلورة منهجها و لرسم توجهاتها و منطلقاتها التي حملت آراء و أفكار من وجوها و أسسوها لها منذ القديم حتى العصر الحديث الذي يعدّ الإنطلاقة الحقيقية لتثبيت قواعد التاريخ بداية مع القرن التاسع عشر ، الذي أُوخّ لميلاد عديد المدارس المنهجية التي كانت أوروبا حاضنة لها ، و كان الإشكال المنهجي ، في تناول التاريخ و طرق تدارسه ، هو أهم ما ميّزها عن بعضها ، و من بين هاته المدارس التي سطع نجمها في القرن العشرين بالضبط ، نجد " مدرسة الحوليات الفرنسية " les annales ، التي تمخضت من فكر قائم حسب تعبير أحدهم من أن : " من يتحكم بالماضي يُمسك بالمستقبل " .

و سنحاول في هذه الورقة البحثية تناول هذه المدرسة في محاولة لإبراز أثرها في توجيه الكتابة التاريخية ، معتمدين في ذلك على خطة بحث جاءت مهيكلة على النحو التالي :

1) . مقدمة.

- (2) .مدخل :- قراءة في الإسهامات المنهجية للمدارس التاريخية قبل ظهور مدرسة الحوليات الفرنسية - .
- (3) . مدرسة الحوليات (LES ANNALES) - ظروف النشأة و عوامل الإنبعث - .
- (4) . التعريف بمدرسة الحوليات ( النشأة ، رواد المدرسة ، و المساهمة المنهجية التاريخية ) .
  - النشأة .
  - روادها .
  - الإسهامات المنهجية للمدرسة .
- (5) . الإنتقادات الموجهة لمدرسة الحوليات .
- (6) . المؤرخ العربي و مدرسة الحوليات - بين الواقع و المأمول -
- (7) . خلاصة .

و قد اعتمدنا في إثرائها على جملة من الدراسات السابقة في التنظير المنهجي و تقصي اسهامات مختلف المدارس التاريخية نذكر منها على وجه الخصوص فرانسوا دوس " التاريخ المفتت من الحوليات إلى التاريخ الجديد "، جاك لوغوف " التاريخ الجديد" و الهادي التيمومي " المدارس التاريخية الحديثة "، و وجيه الكوثاني في مؤلفه تاريخ التأريخ - اتجاهات - مدارس - مناهج .

## 2 - مدخل : قراءة في الإسهامات المنهجية للمدارس التاريخية قبل ظهور مدرسة الحوليات الفرنسية

عرفت أوروبا منذ القرن الرابع عشر تقريباً إرهابات لنهضة بدأت تمتد بجذورها لكل ما هنالك من حياة اجتماعية و اقتصادية ، وكذا ثقافية و علمية عُذّت كعامل استفادة وتنبيه للعقل الأوربي، وكان للتاريخ هو الآخر حظه من هاته التطلعات الجديدة ، في سعي حثيث لإعادة بلورة الخطى المثلى للتعاظم مع هذا الأخير و كيفية تفسيره ، فانبثقت عن ذلك في ايطاليا بالتحديد بين أواسط القرن الخامس عشر و نهاية القرن السادس عشر مدرسة عُرفت باسم " المدرسة الإنسانية " ( Humunisme ) ، و التي رافقت ولادة عصر النهضة في أوروبا وطبعت بتأثيراتها المؤرخ الإنسانوي . ( التيمومي، هـ. 2013: 41) .

لقد تبنى هؤلاء المؤرخون موقفاً جديداً في تناولهم للتاريخ ، فرفضوا فلسفة لاهوت القرن الثالث عشر ، و ترتب عن ذلك التضائل النسبي للآثار العاطفية اتجاه الديانة المسيحية (يفوت، س. 1991: 13)، ذلك أن التفسير الديني كان هو المسيطر على العقل الأوربي ، فالزمن التاريخي هو تحقق للمشئة الإلهية ، و ما الأحداث و الوقائع في الدنيا إلا أجزاء متناثرة و محكومة ب " العناية الإلهية الأبدية " ( الكوثاني، و. 2013: 143) .

أي أن عقلية العصور الوسطى الكهنوتية الخالصة ، قد أعفت الإنسان من صنع تاريخه ، وتركت الأمر كله للمشئة الإلهية (رجب، ص. 2005: 9)، وإذا ما جئنا لتبين ما قدمه المؤرخ الإنسانوي لدراسة التاريخ ، فنجد أن ذلك يبرز خاصة في بحثه عن المخطوطات القديمة ومختلف اللغات السامية وكذا إلمامه بما كالأغريقية و اللاتينية ، كل هاته الميولات جعلته يستنبط علوماً جديدة كعلم الآثار (Archéologie) و المسكوكات ( Numismatiques )، و علم البرديات و النقائش (Epigraphie)، كما ساهم في نقد الوثائق الدبلوماسية ، وتمعن أوجه الصحة فيها ، من مُنطلق تبني المنهج الديكارتي المبني على الشك ، فتبينوا الصحيح و الزائف من تلك الوثائق ( التيمومي، هـ. 2013: 47-48) مما أكسب المؤرخ الإنسانوي حس النقد في معالجة الحوادث التاريخية.

من جملة مفكري هذه المدرسة نذكر ، لورانزو فاللا (Laurenzo valla) (ت 1457)، جان بودان ( jean bodin) (ت 1596)، وكذا أو إيتيان باسكييه ( Etienne pasquire) (ت 1615)، ورغم المساهمة الطيبة للمدرسة الإنسانية إلا أنها عرفت عديد الإنتقادات التي وجهت لها كإغراق روادها في التفائل بالعصر الجديد ( عصر النهضة )، وتمجيدهم لتاريخ دولهم القومية الناشئة ، علاوة على قربهم وتمسحهم بعباءة رجال السياسة من الطبقة البرجوازية ( التيمومي، هـ. 2013: 39-40 ، 49)، مما أثر لاشك في توجهاتهم الفكرية لكتابة تاريخ نقي و موضوعي.

كل هاته الإنتقاصات التي حملتها المدرسة الإنسانية ، سيكون مدعاة لإنشاق مدرسة جديدة في القرن الثامن عشر (عصر الأنوار) عرفت بالمدرسة العقلانية (le Rationalisme) وكانت لها مسحة نضالية بارزة في فرنسا خاصة ، لقد عمل رواد هذا الإتجاه على تحرير العقل من التقاليد التي كرسها النظام الإقطاعي ، و الملكية المطلقة و المستبدة بالحقوق الطبيعية للبشرية وإطلاق حرية العقل (فولغين، ف. 2006: 405).

كان ممن حمل لواء هذا التوجه الجديد كثر، من أمثال فولتير (Voltaire) (1694-1778) الذي يعد ممن خاض غمار القرن الثامن عشر بكل ما حمله من بوارد جديدة ، فقد كان من الوجوه المحورية لهذا العهد ، وما آثاره الأدبية التي تغطي عليها مسحة النضال الإجتماعي إلا دليلا ينطق على ذلك (فولغين، ف. 2006: 24)، و الإنجليزي هيوم (Hume) (ت 1776) ، ومما اجتمع في معظم مفكرها منتسبين لها ، تعاطيهم للفلسفة و التاريخ معا هذا من جهة ،ومن جهة أخرى فقد قدم أصحاب التيار العقلاني اسهامات يعتد بها بالنسبة للتاريخ كتطويرهم التنويه إلى مختلف العوامل التي تفسر التاريخ ، فلم يقتصروا على عامل دون آخر ،رغم إيلاء العوامل الفكرية الأهمية البالغة وتغليبها في أحيائين كثيرة ، كما واصلوا ترسيخ الوعي القومي ، و الكتابة باللغات القديمة و المحلية ، و قسم لنا المؤرخ العقلاني التاريخ إلى ثلاثة عهود بدءا بالعهد القديم ، فالوسط ثم الحديث ، غير أن تحديد بداية العصر الحديث كانت محل اختلاف وجدل بينهم ( التيمومي، ه. 2013: 59، 61، 62، 63).

بيد أن المؤرخ العقلاني سقط هو الآخر في مزلاق كسبه جل اهتمامه على نقد مضمون المصادر التاريخية قصد إثبات حقائق معينة ، وأخذ بمبدأ المنفعة في التاريخ ، وطغت على مؤرخنا المثالية المفرطة ، كما وذهب للقول بأن العوامل الفكرية هي من تحدد وتفسر تطور البشرية من منطلق أن مصدرها الوحيد هو العقل ، مما أدى أن تقوم على أنقاض مخلفاته الفكرية وتوجهاته المنهجية للتعاطي مع التاريخ مدرسة أخرى وهي المدرسة الرومنطقية (التيمومي، ه. 2013: 63).

كان الموطن الذي احتضن المدرسة الرومنطقية (le Romanticism) هو ألمانيا أواخر القرن الثامن عشر و بداية القرن التاسع عشر وجاءت كرد فعل لما أغرق المؤرخ العقلاني في تقديس العقل و الرفع من شأنه لتؤكد أن "الإنسان ليس عقلا فقط ، إنما هو مشاعر و وجدان وروح)، ومن ممن انطوا تحت هذه المدرسة شيلنغ (Shelling) (1775-1854)، فيخته (Fichte) (1762-1814)، و الشاعر غوته (Goethe) (1749-1832) (التيمومي، ه. 2013: 69).

أثرت الثورة الفرنسية سنة 1789م في رجال هذه المدرسة أثرا واضحا ، من خلال المبادئ و الأفكار التي جاءت بها ، من منطلق أن ما يجعل الإنسان إنسانا هو تمتعه بحقوقه ، كما أن شعورنا الإنساني بالآخرين هو ما يجعلنا نحس بذواتنا كبشر ، أفرزت هذه الأوضاع صياغة مبادئ جديدة تحقق قيمة الإنسان ، وكان هذا أحد بذور الثورة الفرنسية و تباشيرها (غزوتوين، ب. 1982: 141، 218).

أما إذا جئنا للحديث عن إسهامات الرومنطقين في حقل الكتابة التاريخية ، فنجد تحليلات ذلك في تصاعد البحث في الفكر القومي و البحث في الأصول ، مما سار بالتاريخ و الكتابة التاريخية أشوطا متقدمة ، كما سعى لكتابة تاريخ كلي مع التخلص من التزمّت و التحزب أو الإنتماء القومي عند الكتابة فكتبوا في كل ما هو سياسي ، اقتصادي ، ثقافي و ديني ، وأدخلوا عنصر التشويق و الإثارة و أسلوب الكتابة الأدبية في كتاباتهم، فطغت عليها مسحة الخيال أكثر من الحقيقة كما ننوه إلى أن معظم أصحاب هذا التيار كانوا من طبقة النبلاء (التيمومي، ه. 2013: 73، 75). ونتيجة لهذه المآخذ نجد أن التوجه الرومنطقي لم يعمر طويلاً وستحل محله مدرسة أخرى لتقدم رؤيتها في تفسير التاريخ وكيفية تناوله و منهجة طرقه و هي المدرسة الوضعية .

كان منطلق المدرسة الوضعية (positivisme) من ألمانيا أيضا ، أواخر القرن التاسع عشر إلى بداية القرن العشرين (التيمومي، ه. 2013: 83) وتذهب هذه المدرسة إلى القول أن " المعرفة الصحيحة هي المعرفة المبنية على الواقع و التجربة ، و أن العلوم التجريبية هي التي تحقق المثل الأعلى لليقين و أن الفكري البشري لا يستطيع أن يجتنب اللفظية و الخطأ في العلم و الفلسفة ، إلا إذا اتصل بالتجربة و أعرض عن كل قبلية ، وأن الشيء في ذاته لا يدرك ، وأن الفكر لا يستطيع أن يدرك إلا العلاقات و

القوانين " ومنه فالوضعي " بهذا المعنى مرادف للحقيقي و التجريبي ، مقابل للتأملي و الخيالي و الوهمي ، و الحالة الوضعية في قانون الحالات الثلاث مقابلة للحالة الميتافيزيقية ، و الحالة اللاهوتية " (صليبا، ج. 1982: 577 ، 579).

و الإتجاه الوضعي يستمد قوامه من النظريات المستمدة من آراء الفيلسوف الفرنسي أوغست كونت ( Auguste conte ) (ت 1857)، ومن بين أنصار هذا التيار إرنست رينان ( Ernest renan ) (ت 1892)، ليوبولد فان رانكه (Leo Bold von Ranked)، شارل ساينوبوس ( Charles Seignobos ) ( ت 1942 )، شارل فكتور لانجلوا ( Charles victor langlois ) ( ت 1929 ) (التيوموي، ه. 2013: 84)، ويفهم من رجال هذه المدرسة أنهم جعلوا من العلم الأساس لتفسير التاريخ ، وكان لهم مساهمات مشهودة في هذا الصدد ، فأوجدوا مراحل لإثبات صحة الوثائق التاريخية بدءاً من تجميع الوثائق فنقدتها ثم ضبط الأحداث ، وأخيراً تنظيمها ضمن سياق كرونولوجي ، وإدراج قائمة مصدريه ، و الإستعانة بالإحصائيات و المعطيات الرقمية و الخطوط البيانية ، مع وضع أسفل كل صفحة أو بعد كل فصل أو فقرة الملاحظات و الهوامش التي تمكن القارئ من التثبت من صحة الوثائق المستعملة ، كما أوجدوا نوعين من النقد للوثائق بدءاً بالنقد الخارجي ، فالنقد الداخلي عند كتابة التاريخ (التيوموي، ه. 2013: 89)، أما النقد الخارجي فيتعلق بأمور عدة كإثبات صحة الأصل التاريخي ، و نوع الورق تعيين شخصية المؤلف وزمان التدوين ومكانه ، في حين أن النقد الداخلي يبحث في الحالات العقلية التي مرّ خلالها كاتب الأصل التاريخي و يُحاول تبين قصده بما كتب و هل كان صحة ما كتبه ، و هل توفرت المبررات التي جعلته يعتقد صحة ذلك (عثمان، ح. د. ت: 83).

رغم المجهودات التي بذلها المؤرخ الوضعي و التي لا غبار عليها ، من خلال مساهمتهم لدراسة التاريخ و تطوير مناهجه، إلا أنهم لم يسلموا من عديد المزالق كإقصائهم للتفسيرات الفلسفية ، واعتبار الظاهرة الإنسانية مثلها مثل الظاهرة الطبيعية ، كما ظهرت عليهم بوادر التحيز للقومية رغم مناداتهم في البداية بالسعي لكتابة تاريخ موضوعي خال من الشوائب و التحيز للقومية (التيوموي، ه. 2013: 90، 91 ، 92) .

ولتدارك النقائص التي وقعت فيها الوضعية ، ظهرت في إثرها مدرسة أخرى عُرفت بالتاريخانية (l'historicisme) واحتضنتها ألمانيا مرة أخرى أواخر القرن التاسع عشر ، ثم امتدت لتشمل دول أوربية عديدة كإيطاليا و بريطانيا و فرنسا رغم محدودية انتشارها فيها مقارنة بالدول الأوربية الأخرى لطابع العلاقات المرتبكة بينها و بين ألمانيا (التيوموي، ه. 2013: 101) ، و يرى K.R.Popper أن هذه النزعة هي " محاولة إدراج جميع العلوم تحت علم التاريخ وجعل الهدف الأساسي لها التنبؤ بالمستقبل من خلال تأكيد قوانين تاريخية عالمية "، كما يمكن القول بأنه اتجه يرمي إلى تفسير الأشياء في ضوء تطورها التاريخي (بدوي، أ. د. ت: 196) .

كما قال أصحاب هذه المدرسة بوجود حقيقة جزئية و نسبية ، وإسقاط قدسية الوثيقة ، لكن رغم ذلك لم يسلم أصحاب هذا الإتجاه من الانتقادات الموجهة إليهم كالأخذ بالتأريخ للأحداث الجزئية و رفض التعميم و إطلاق أي حكم في تناول التاريخ الإنساني و الحرص على تعرف مقاصد الفاعل التاريخي وإلغاء وجود أية حقيقة موضوعية و القول بالنسبية ، و مُبالغتهم في دراسة المشاهير و الشخصيات الإستثنائية ، كما عدّوا التاريخ خطاباً عن الحاضر ، و بذلك يتحول تاريخ الماضي إلى تاريخ الحاضر ، كما لم يعتدوا بعلموية التاريخ التي قال بها المؤرخ الوضعي (التيوموي، ه. 2013: 109، 112 - 115)، و من رواد هذا الإتجاه نجد ماكس فيبر (Max weber) (1864-1920)، هنري إيريني مارو (Henri irenee Marrow) (ت 1977) بول فاين (Paul veyne).

و لم تتوقف اتجاهات تفسير التاريخ عند رواد المدرسة التاريخانية، بل ظهر في وقت لاحق ما عُرف بالماركسية (Materialism) و التي كانت عملاً ثنائياً ضم الألمانين كارل ماركس (Karl Maex) (1818 - 1883) (أنظر التعليق رقم 1) و فريدريك أنجلز (Frederic Engles) (1820 - 1895) (أنظر التعليق رقم 2) ، نظر ماركس للتاريخ على أنه

سجل صراع بين الطبقات المختلفة في المجتمعات ، كما أكد أن التناقض هو القوة المحركة للتاريخ الطبيعي و الإنساني معاً ، دافع الماركسيون عن طرحهم الذي يعتبر العامل الإقتصادي هو أكثر العوامل فاعلية في الأنظمة المجتمعية (رجب، ص: 56، 57، 60)، ويذهب الكثير إلى اعتبار أن ماركس استقى نظريته المادية وفلسفته من الفيلسوف الألماني هيغل (Hegel) (1770-1831) (أنظر التعليق رقم 3) خصوصاً فيما سُمي بجدلية هيغل (Dialectique)، كما واطلع ماركس على بعض من كتابات هذا الفيلسوف و قدم تعليقات حولها (جان بيار، 1993: 139، 14، 107)، لذا فقد أنتج ماركس ما عُرف بالنظرية المادية الجدلية (Matérialisme dailectique)، و التي تقر بأن المادة هي كل الوجود و أن مظاهر الوجود على اختلافها نتيجة تطور متصل للقوى المادية (بدوي، أ.د.ت: 108).

ساهمت الماركسية بدورها في تفسير التاريخ فأعطت للعامل الإقتصادي دوره في صنع الحوادث التاريخية رغم مبالغتها في ذلك كما أعطت للفئات المهمشة و فئات الظل مساحة في صنع التاريخ وكل من تم تغييبهم عن قصد أو بدون قصد من عمال و حرفيين و مُزارعين (التيوموي، ه. 2013: 129).

و نظراً لحمل الماركسية للكثير من بذور فئائها فقد وجهت لها عديد الإنتقادات كإرجاع كل الظواهر الإجتماعية إلى العلية الإقتصادية و تضخيم دور الصراع في حياة المجتمعات بحيث يصبح هو المحرك الوحيد لها ، فضلاً عن شيطنة رؤوس الأموال فقد أقل وخفت نجمها لتبرز مدرسة أخرى وهي المدرسة البنيوية والتي ستدلي هي الأخرى بدورها في توسيع أفق التاريخ و مناهج تفسيره و التعاطي مع قضاياها .

اتخذت المدرسة البنيوية (Structuralism) من فرنسا موطنها لها ، إذا ما أتينا للوقوف عند مفهوم البنيوية من حيث الدلالة اللغوية فإننا نجد أنها مشتقة من بنى ، يبنى ، بناءً ، و بَنَى ( ابن منظور، ج.د.ت: 5، 365-366 ) Structure و يُقصد بها الكيفية أو شكل الذي شيد به هذا البناء ، أما في مقامنا هذا فلا نتبنى هذا المفهوم بل نقصد " الكل المؤلف من الظواهر المتضامنة بحيث تكون كل ظاهرة فيها ، تابعة للظواهر الأخرى ، و متعلقة بها ، و بعبارة أخرى هو تنظيم دائم نسبياً تسيّر أجزاؤه في طرق مرسومة ويتحدد نمطه بنوع النشاط الذي يتخذه " (بدوي، أ.د.ت: 412).

أقرت البنيوية بالإتساق بين القوى الإجتماعية وأن لها دوراً وظيفياً يؤدي إلى التكامل الإجتماعي ، كما رأت بضرورة الإعتماد على العلم التجريبي ونتائجه (زناقي ، أ. 2007: 140)، كان أقطاب البنيوية كثر منهم على سبيل المثال لا الحصر كلود ليفي ستراوس (Claud Levi- stauss) (1908-2009) و جاك لكان (Jacques Lacan) (1901-1981)، كان للتاريخ حظه هو الآخر من إسهامات المدرسة البنيوية ، فقد عدّ المؤرخ البنيوي جميع الشعوب صاحبة تاريخ ، رغم أنهم في بادئ الأمر ميّزوا بين ما هو سنكروني (Synchronique) ثابت لا يتأثر بالزمن من الأحداث ، و بين ما هو دياكروني أو تطوري تعاقبي ، و لم يهتموا إلا بما هو سنكروني منه يمكن القول أنها كانت مناهضة للتاريخ لأنه صاحب الأحداث دائمة التغير ، ثم قللوا من حدة هذا التوجه لتعتبر التطور الإنساني سيروية تواصل و انقطاع في نفس الوقت ، كما أولت أهمية لدراسة علاقات القرابة و قواعد الزواج و الأساطير و الفن و خاصة الذهنيات أو إلى المخيال (l'imaginaire)، لذا فقد كان للبنيوية أثر كبير على مدرسة الحوليات و سيتجلى لنا ذلك بوضوح في طروحات المدرسة و مواضيع اهتماماتها (التيوموي، ه. 2013: 149، 152، 157).

ورغم المجالات الجديدة التي فتحتها البنيوية للتاريخ و المؤرخ على حد سواء و الذي من شأنها لاشك أن تثري الكتابة التاريخية و مناهج التفسير من منظورات عدّة بطرقها باب دراسة الأساطير و الذهنيات و المخيال الإجتماعي و غير ذلك ، غير أنها تشددت في بعض الجوانب و ألغت جوانب أخرى، كرفضها التعاطي مع فكرة أن الإنسان هو من يصنع تاريخه بمحض إرادته إنما أرجعتها للبني الكامنة في أفكارهم ، و إهمالها للتطور التاريخي وجعل من التاريخ مجرد بني مستقلة عن بعضها البعض ، كما غالت في التعمق في دراسة البنية فتحوّلت من مجرد منهج علمي إلى ما يشبه الميتافيزيقا (التيوموي، ه. 2013: 153، 158). أي ما وراء الطبيعة و هو خلافا للعلوم الطبيعية التي تتناول ظواهر محددة.

وكآخر مدرسة نعرّج عليها بعد عرضنا لمختلف المدارس التي أفاد منها التاريخ في تطوير منهجه وآليات تفسيره بداية من القرن الرابع عشر حتى أواخر القرن التاسع عشر و ما تتابع ظهوره في القرن العشرين ، نجد المدرسة الفرويدية (Le Freudisme) نسبة إلى مؤسسها الطبيب النمساوي سيغموند فرويد (Sigmund Freud) (1856-1939) بين ثلاثينات القرن العشرين و سبّتيناته (التيومي، ه. 2013: 165)، كانت مساهمات فرويد في الجانب النفسي بالذات و هذا ما يتضح من خلال مساره ومؤلفاته ، وفي مؤلفه " مساهمة في تاريخ حركة التحليل النفسي " اعتبر فرويد نفسه صاحب الفضل في هذا المجال كما وأكد على الدور الذي قدمه لإثراء و إنارة هذا التاريخ رغم حملة الإنتقادات اللاذعة التي واجهته في بداية الأمر (سيغموند، ف. 1982: 5)، من خلال هذه الدراسات التي عكف عليها فرويد أمكنه وضع يديه على جوانب مختلفة من الجانب النفسي و تطعيمها بتحليلاته ، فأوجد تقسيما للجهاز النفسي ، كما تناول الحياة اللاشعورية وغيرها من الظواهر النفسية (سيغموند، ف. 1986: 8-9).

لذا فقد أفاد التاريخ من تطبيقات المدرسة الفرويدية و بخاصة في كتابة السير (Biographie) أو ما يسمى بالتاريخ النفسي (Psycho-histoire) ، و محاولة فهم النفسية الجماعية و الأفكار اللاعقلانية و اللاشعورية لدى المجموعات البشرية إبان الأزمات و الأحداث المشهودة ، أي أن سلوك الإنساني لا يتحدد بالعقل فقط ، وإنما كذلك باللاوعي ، ومن رواد هذا الإتجاه نذكر الإسكندر ألدري (Alexandre Adler) ، (ت 1937) و وليام رايش (Wilhem Reich) (ت 1957) (التيومي، ه. 2013: 170، 172).

غير أن المدرسة الفرويدية غالت هي الأخرى في مستويات عدّة من طروحاتها كنفي حرية الفرد من خلال خضوعه لأفعاله اللاشعورية ، و الغرائزية وكذا طروحاته حول الحياة الجنسية (سيغموند، ف. 1986: 12، 16 و ما بعدها).

و ما يمكن تحصيله أن أوروبا منذ بداية القرن الرابع عشر ، اجتاحتها رياح التغيير على مستويات شتى وكان للحياة الفكرية نصيبها من هذا التغيير ، لقد أعاد العقل الأوربي تدراك هفواته التي قيدت من إبداعه ومساهمته الحضارية عبر عصور طويلة ، وكانت الكتابة التاريخية في ذلك تسير جنباً إلى جنب مع هذه التطورات الحاصلة فتفيد منها فيما يحسن منهج تناولها و استنباط حقائقها بطرق موضوعية لتقرب من الحقيقة أو على الأقل تلامسها ، فأفادت من طروحات كل المدارس التاريخية التي احتضنتها أوروبا بدءاً من المدرسة الإنسانية و حتى الفرويدية ، و سيظهر للقارئ مدى إفادة مدرسة الحوليات الفرنسية موضوع بحثنا من إسهامات هاته المدارس لتكوين نظرة شاملة لدراسة التاريخ مع إضافة إسهامات جديدة ، وباعتقادنا أنها نخلت من معين المدرسة الوضعية و البنوية الشيء الكثير إذا ما قرنت بالمدارس الأخرى ، كما كانت ألمانيا موطناً لمعظم هذه المدارس رغم منازعة فرنسا لها في بعض الأحيان ، مما يكشف لنا أن المؤرخون الألمان كانت لهم يد الطولى في التنظير المنهجي و تعزيز الكتابة التاريخية.

### 3- مدرسة الحوليات (LES ANNALES) - ظروف النشأة و عوامل الإنبعث -

إذا كان علم التاريخ قد سطع في ألمانيا في القرن التاسع عشر ، فإنّ الفرنسيين في القرن العشرين أبدوا منافسة شرسة للألمان بفضل مجلتهم الحوليات (التيومي، ه. 2013: 179) ، التي سعت إلى بلورة رؤية جديدة لتفحص الحدث التاريخي و مستويات التعاطي معه ، و مما لا شك فيه أن هناك عوامل محفزة لإنبعث هاته المدرسة ، و بل و انبعث فكر منهجي تاريخي جديد ، بداية من هزيمة فرنسا في المواجهة العسكرية أمام ألمانيا سنة 1871 م ( حرب السبعين ) ، و التي دحرجت الواقع التاريخي الفرنسي لإنبعث المجلة التاريخية سنة 1876 م ، تأثراً بالمدرسة التاريخية الألمانية (طحطح، خ. 2012: 6) ، و التي لم يسلم رواد التاريخ الحولياتي من التأثير بها أيضاً ، و لقد كتب العروي معلقاً على ذلك بالقول : " لا غرور أنها تعلمت كغيرها من المدارس القومية قواعد التحقيق عن الألمان إلا أنّها تجاوزت حدود التقنيات فقط ". (العروي، ع. 2005: 186) ، فالمدرسة الوضعانية ( positiviste ) الألمانية ، ملهمة الفرنسيين عدّت من بين الثورات السبّاقة لإعلاء شأن التاريخ و كسر قوالبه الجامدة ، بقيادة كل من " شارل فكتور لانجلوا " ( 1863 - 1929 ) ( langlois chales victor ) و " شارل سينيوبوس " ( 1854 - 1942 ) ( charles seignobs ) ، مؤكّدين أنه " لا تاريخ بدون وثيقة " ( عبد الواحد محمود ، م. 2005: 250).



أما المعطى الثاني فنقرأه في تأثر الفرنسيين بالحرب العالمية الأولى الذي بات ظاهرة ، ذلك أنها زعزعت الكثير من اليقنيات السائدة ، و رسمت توجهها جديداً لمفكراتها و مؤرخيها (الطاهري، ع. 2018: 250) ، و قد عبّر فرانسوا دوس أحد رواد المدرسة عن ذلك بالقول : " إن إنشاء مجلة الحوليات نتج عن تحول مزدوج بلبل الوضع العالمي في فترة ما بعد (1914 - 1918 م ) و كذلك حقل العلوم الاجتماعية ، و سنجد هذا التأثير المزدوج وراء كل تبدل في تطور الحولياتي " (دوس، ف. د. ت: 36) ، كما كان للإضطرابات التي عانى منها الإقتصاد الرأسمالي ، و التي أخذت في الظهور بعد الحرب العالمية الأولى ، و ذلك من خلال التوجه للبحث في الإشكال الإقتصادي و تاريخ حركة الأسعار لفهم ما يجري من انتكاسات و تراجعات و أزمات اجتماعية ، علاوة على مآسي الحرب (1914 - 1918 م ) و نتائجها : " إن ملايين القتلى استدعوا في الأحياء الشعور بمسؤولياتهم ، و بالنسبة للمؤرخ إفلاس (التاريخ - المعركة) l'histoire bataille " (الكوثاني، و. 2013: 199، 200) ، و بالتالي الشعور على من تقع مسؤولية هذه الحرب ، و ما خلفتها من نتائج جد سيئة كانت لها آثار بعيدة المدى و من هنا نفهم نشاط دراسة التاريخ الدبلوماسي خصوصاً أن العديد من الدول الكبرى سمحت للمؤرخين بالإطلاع على " الوثائق السرية " القرية من الحرب (الصباغ، ل. 1999: 94، 95) .

و إن ذكرنا المؤشر الأول محل البحث و هو الظرفية السياسية ، فإن فرانسوا دوس ( Françoise Dosse ) أفصح لنا عن عامل آخر لا يقل أهمية عن العامل الأول ، و هو مساهمات حقل العلوم الاجتماعية (دوس، ف. د. ت: 36) ، فما طبيعة هذه المساهمة و كيف تعامل معها رواد تاريخ الحوليات ؟.

من بين حقول المعرفة التي أثرت في التوجه المنهجي الحولياتي هي مدرسة علم الاجتماع بقيادة " دور كهلم " (1917-1858) (Emile Dure Kheim) ( أنظر التعليق رقم 4) ، و اعترف بلوخ بمدونيته له قائلاً " لقد علمنا دور كهلم أن نخلل بمزيد من العمق و أن نعصر المسائل عصرًا " ، خصوصاً أن اهتمامات هذا الحقل من العلوم تنصب أساساً في دراسة المجتمع بمختلف ظواهره و تجلياته ، لكن المؤرخين سعوا لسحب بساط الصدارة الذي تبناه دور كهلم ، بقلب الأدوار - أي أن علم الاجتماع يصبح رافد من روافد التاريخ لا عكس - ذلك أن دور كهلم يجعل من المؤرخ مجرد جامع للحريق الذي يصنع منه عالم الاجتماع عسلاً (الطاهري، ع. 2018: 6) مانحين المؤرخ مجالاً جديداً يتوافق مع توجهاتهم المنهجية و الفكرية و هو " علم الاجتماع الديني " (دوس، ف. د. ت: 46) .

كما استفاد التاريخ الجديد من مساهمات بعض المدارس الجغرافية منها المدرسة الفيديالية (أنظر التعليق رقم 5) نسبة "فيدال دولابلاش" (1845 - 1918) (Paul vidale de la Blach) و التي تبنت النظرة الشمولية في تحليل الواقع الاجتماعي ، كما لعبت العلوم الدقيقة دور فعال في تغيير العديد من الرؤى التي كانت سائدة آنذاك منها النظرية النسبية التي استبدلت فكرة الحتمية بالنسبية ، كما استفادت من طرح المدرسة الوضعية (أنظر التعليق رقم 6) ، لكنها انتقدت قدسية الوثيقة عندها (الطاهري، ع. 2018: 8) ، و قد استقى أصحاب مدرسة الحوليات أفكارهم من رواد علم النفس بدراسة العقلية و الذهنيات ( Mentalités ) (لوغوف، ج. 2007: 119) ، حيث لم يخف فرانسوا دوس الإلهام الكبير الذي منحه علم النفس للوسيان فيفر و ذلك من خلال فتح إمكانية التعاطي مع تاريخ العواطف ، الحب ، الموت ، و الخوف ... ، غير أنه أفاد بوجود تناوله ضمن دراسة شاملة للحضارة دون اقتلاعه من جذوره و عزله عن سياقه التاريخي " (دوس، ف. د. ت: 132) ، و سيتم الوقوف عندها عند تناول الأجيال التي صنعت فكرة التاريخ الجديد و التاريخ الشمولي (histoire Totale) .

إن الأبواب الواسعة التي فتحتها الأنثروبولوجيا للفكر التاريخي الحولياتي و أفقه المنهجية ، و تحلي مساهمتها في تطعيم التحليل التاريخي ، عن طريق تفسير التاريخ البشري ، في كليته و جزئياته ، كما ركزت على كشف الصورة التركيبية للمجتمع البشري لذا نرى المؤرخ هو بدوره يتبنى التركيب في الكتابة التاريخية الجادة ، و سنرى تقاسيم هذا التوجه من خلال استعراضنا لأوجه الفكر المنهجي التاريخي للحوليات فيما بعد ، لكن لا بأس من الإشارة إلى نفحات التأثير الأنثروبولوجي على التوجه التاريخي من خلال التحويل إلى التفكير التاريخي بدل السرد ، و تناول المجتمع بدل مؤسسات الدولة ، و دراسة التاريخ الاجتماعي الثقافي بدل التاريخ السياسي

(الربماوي، م.د.ت: 103)، و عبر أحد الباحثين عن هذا الترابط العلائقي بين شتى هاته المعارف التي أثمرت عن توجه جديد في الكتابة التاريخية الذي تبناه مؤرخي مدرسة الحوليات بالقول: "هذا الحوار النظري العميق و الإحتكاك المنهجي الطويل بين التاريخ و الأفكار و المناهج الجغرافية و السوسيولوجية و الإقتصادية ساهما بقوة في خلق مجلة " الحوليات"، كوعاء لبرنامج جديد و جرى و أيضاً في خلق مجموعة من الأبحاث التاريخية البالغة " (حبيدة، م.1993: 80).

و أخيراً لا بد من التنويه إلى إفادتها أيضاً من عديد الطروحات التي قدّمتها مدارس القرن (19 م) خاصة، و التي ساهمت بشكل جلي في بلورة الفكر المنهجي الجديد للحوليات.

#### 4 - التعريف بمدرسة الحوليات ( النشأة، رواد المدرسة، و المساهمة المنهجية التاريخية ) :

##### - النشأة :

ظهرت هذه المدرسة نتيجة جهود جيل من المؤرخين الفرنسيين، الذين رأوا ضرورة كسر القيود التقليدية للتناول التاريخي بالانتقال لدراسة التاريخ الشامل أو الكلي (مؤنس، ح.1984: 183)، و ذلك بصدر أول عدد لمجلة الحوليات منذ 1929 م، تحت اسم ( Les annales d'histoire économique et sociale )، و ذلك يوم 05 جانفي 1929 م، حيث صدر عن دار نشر أرمان كولان (Colin Armand)، و كان مديراً للمجلة هما: لوسيان فافر (Lucien Febvre) (1878-1956) (أنظر التعليق رقم 7)، و هو مختص في التاريخ الحديث، و مارك بلوخ (Marc Block) (1886-1944) (أنظر التعليق رقم 8) المختص في التاريخ الوسيط الأوروبي (التيمومي، ه: 179-180)، و كان منطلقها من مدينة ستراسبورغ التي استرجعتها فرنسا سنة 1920 م، بعد استعادة الألزاس من ألمانيا، و هو سبب كافٍ حسب أحد الباحثين لفهم التحدي الفكري لحضور الثقافة الألمانية في فرنسا " (الكوثاني، و.2013: 203).

إنه و بالنظر إلى الظروف التي تم طرحها مسبقاً و التي كانت بمثابة بذور نماء للمناخ الفكري المنهجي لمؤرخي الحوليات، حيث سعت هاته الأخيرة إلى تحطيم العزلة بين العلوم ونسف كل انغلاق المنهجي (الطاهري، ع.2018: 3)، لقد اعتبر رواد هذه المدرسة أن الهزائم التي مُتيت بها فرنسا " هي قبل كل شيء هزيمة للذكاء و الخلق الفرنسيين " *défaite de la France à ètè avant la tout, une défaite et du caractère français* (مؤنس، ح.1984: 186)، لذا عكفوا على إعادة النظر في المناهج التعليمية و قراءة التاريخ و الكيفية المثلى لتفسيره و تحليله، إنه فنّ تفسير الشعوب لتاريخها من مناحي شتى، فليس فقط السياسي و قائد المعركة مسؤول عن خسارة فرنسا في حربها، بل المثقف و المؤرخ أيضاً يتحمل قدر كبير منها ؟؟.

إن العديد من الباحثين ربط بين تأسيس مجلة الحوليات و الأزمة المالية الإقتصادية الكبرى، من بورصة "وول ستريت"، و إن كان البعض رفض هذا الربط، فإن أحدهم ذهب إلى القول أنّ الذين ربطوا بين الحدثين، إنّما عنوا بذلك ما يعنيه الربط من دلالات السياق التاريخي، و ليس مجرد التزامن أو المصادفة " (الكوثاني، و.2013: 199).

و ممن تبني رفض ربط نشوء مدرسة الحوليات بأزمة 1929 م، المؤرخ فرانسوا دوس الذي كتب قائلاً: "يستسلم جاك لوغوف قليلاً إلى السهولة عندما يكتب" ليس من باب الصدفة أن تنشأ مجلة الحوليات سنة 1929 م، و هي سنة اندلاع الأزمة الكبرى"، و يضيف قائلاً: "لا يمكن اختزال مشروع مارك بلوخ و لوسيان فيفر إلى ردّ فعل منظم لمجموعة من المؤرخين أمام أزمة اندلعت بصورة واضحة بعد أخبار بورصة وول ستريت (wall street)، في تشرين الأول (أكتوبر) عام 1929 م في حين أن المجلة صدرت في جانفي (من العام نفسه إلى ما بعد الحرب مباشرة) (دوس، ف.د.ت: 36)، رغم أن جاك لوغوف (1924-2014) (Jack Lugoff) ربطها بأزمة 1929 م و يظهر ذلك جلياً في قوله: "ليس من باب الصدفة أن تنشأ الحوليات سنة 1929 م، و هي سنة اندلاع الأزمة الإقتصادية العالمية الكبرى" (لوغوف، ج.2007: 85).

كما أكدّ دوس أن مجلة الحوليات كان الهدف من تأسيسها هو البرهنة للألمان على قدرة الباحثين الفرنسيين، و لذا فإن كل عدد من مجلة الحوليات هو قطعة جديدة من الأسلحة الثقيلة لإطلاق النار على المدرسة التاريخية المتشددة، الملخصات، و باب "



حوارات و معارك " كانت كلها لممارسة الجدل من خلال مجلة تعطي لنفسها مساحة نضالية" (دوس، ف. د. ت: 365-368) ، و اعتبر أن تاريخ مدرسة الحوليات ليس بالتاريخ الجامد ، بل هي ثوابك التحويلات المجتمعية و تصمد أما هجمات العلوم الاجتماعية ، و في الوقت ذاته اعتد بقدرتها العجيبة في التأقلم مع مختلف التحديات العلوم الاجتماعية تجاه التاريخ لذا كان لوسيان فيفر يردد : " بما أن العالم يتحرك فالحوليات أيضًا تتحرك " ( نفس المرجع ، د. ت : 29 ، 46 ، 75 ، 107 ) ، و لعل هذه القدرة على التأقلم و مسابرة الأحداث ، يمكن الوقوف عندها من خلال العناوين التي حملتها المجلة حسب ما يوضحه الجدول الموالي :

| السنة       | اسم المجلة                                |
|-------------|-------------------------------------------|
| 1929        | حوليات التاريخ الإقتصادي و الاجتماعي .    |
| 1939 - 1941 | حوليات التاريخ الاجتماعي .                |
| 1942 - 1944 | أمزاج تاريخية .                           |
| 1944        | مجموعة أعمال في التاريخ الاجتماعي .       |
| 1945        | حوليات التاريخ الاجتماعي .                |
| 1946        | الحوليات - اقتصاديات - مجتمعات - حضارات . |
| 1988 - 1989 | تاريخ - علوم اجتماعية .                   |

- جدول رقم ( 01 ) : يوضح بعض العناوين مجلة الحوليات الفرنسية . ( تم رسم الجدول بالإعتماد على : ( التيمومي ، ه : 180 ) ، ( دوس، ف. د. ت: 16، 18، 19 ، 41 ، 98 ، 185 ) ، ( لوغوف، ج. 2007: 89 ) .

#### - روادها :

إن النجاح الذي أحرزته مدرسة الحوليات لم يأت من فراغ بل على كواهل روادها الذين أفنوا حياتهم في سبيل الذود عن أفكارهم و طروحاتهم و قد توالى عليها ثلاثة أجيال تقريبا ، بدأت مع جيل المؤسسين مارك بلوخ ، لوسيان فيفر ، اللذان وضعوا اللبنة الأولى للمدرسة ، و تجشما الكثير من الصعوبات لكنهما أيا الفشل .

ثم إن الأجيال التي تلتها تعترف بفضلهما و على رأسها فرانسوا دوس الذي كتب قائلا : " فإن مدرسة الحوليات و روادها الأوائل على الأقل أحدثوا تجديدًا في المنهج و المواضيع و اعتمدوا الأساليب غير مألوفة و جرأة غير مسبوقه ، فإلى جانب المدرسة الماركسية اهتمت الحوليات و التاريخ الجديد بمن لا تاريخ لهم " ( دوس، ف. د. ت: 9 ) ، فلا أحد ينكر الشجاعة التي أبدىها لكسر الإنغلاق المنهجي الذي كان مخيمًا على الدراسات التاريخية و لعل حب الرجلين للتاريخ يبدو سافرًا من خلال قول فيفر : " أنا أحب التاريخ إذا لم أحبه لن أكون مؤرخًا " ، " J'aime l'histoire Si je ne l'aimais pas, je ne serais pas historien " ( Febvre . 1 . 1992 : 33 ) .

بوفاة لوسيان فيفر سنة 1956 م ، أصبح فرناند بروديل ( Fernand Braudel ) ( 1902 - 1985 م ) ( أنظر التعليق رقم 9 ) الملهم الرئيسي لمجلة الحوليات حيث قام بنشر مقال له عام 1958م الذي رسم بعمق مرحلة التاريخ الجديد في وقته و جاء تحت عنوان " التاريخ و العلوم الاجتماعية " الأمد الطويل " ( لوغوف، ج. 2007: 98 ) .

رأى بروديل بضرورة كسر الحواجز التي تفصل العلوم عن بعضها و هو ما سماه العروي " بالتناهي " أي تكامل التخصصات في سبيل دراسة موضوع واحد من جوانب مختلفة " . ( العروي، ع. 2005: 188 ) ، و في " كل لحظة يذكر فيها العلوم الاجتماعية يصفها بالإمبريالية و يعتبر أنه على التاريخ ألا يرفض المواجهة معها ، و لا يمكن إلا أن يخرج شائخا من هذه المواجهات " . ( دوس، ف. د. ت: 168 ) ، و يُعتبر مؤلف بروديل " المتوسط و العالم المتوسطي في عهد فليب الثاني " ، بمثابة ثورة علمية

جددت مناهج التاريخ و موضوعاته ، إن لم نقل أنها قلبتها رأساً على عقب ، الأمر الذي جعل من " متوسط بروديل " دليل القطيعة بين التاريخ التقليدي بمنهجه السردى الحديثي و بين تأريخ جديد شامل " (بروديل، ف. 1993: 5) .

و في عام 1969م سلم فرناند بروديل و شارل مورازيه ( Charles Morazé ) و جورج فريدمان ( George Friedman ) مجلة الحوليات إلى فريق جديد مكون من : أندريه بورغيار ( André Borgier ) المختص في تاريخ العائلة ، و مارك فارو ( Mark Farrow ) المختص في تاريخ المعاصر ، و جاك لوغوف المختص في التاريخ الوسيط ، و إيمانويل لورا لادوري ( Emmanuel Laura Laduri ) المختص في التاريخ الحديث ، جاك روفيل ( Jack Rouvel ) و بيير نورا ( Pierre Nora ) (طحطح، خ. 2012: 92) ، و قام الجيل الثالث سالف الذكر ، بإحداث مقاربات جديدة مخالفة لقوالب الجيل الثاني عن طريق الأخذ بالمقاربة الأنثروبولوجية و التركيز على ( الميكرو - تاريخ ) ( Micro - History ) و العودة للتعاطي مع الحدث السياسي ( مجاهد، م. د. ت. 26 ) ، و في هذا الجيل أيضاً برزت أزمة تاريخ الحوليات و كان الحديث عن التاريخ المفتت بداية مع أواخر الثمانينات و التي أشار إليها دوس .

هذه الأزمة التي أنكر جاك لوغوف وجودها ، مؤكداً أنها مجرد هجمات من طرف من يُريدون الإطاحة بمساهمات الحوليات و بالمنهج التاريخي ، كما قال بنجاح تجربة " التاريخ الجديد " ( Histoïr nouvelle ) ، الذي يعتبره أنه ما يزال يعيش مرحلة طفولته الأولى ، لكن بعد مرور سنوات كان ما توقعه دوس و هو الانفجار الذي مسّ التاريخ محولاً إياه إلى شظايا متناثرة ، و مفتتة (طحطح، خ. 2012: 103، 104) ، لقد كانت المسألة غاية في الخطورة ، " فهي مسألة الوجود بمحد ذاته للتاريخ و قدرته على تجنب التجربة الانتحارية المزدوجة : الهروب إلى الأمام على طريق الذوبان ضمن العلوم الإجتماعية أو التراجع نحو التاريخ الوضعي القلسم الذي عرفه القرن التاسع عشر " . (دوس، ف. د. ت. 30) .

لذا فإننا شهدنا بعد ذلك توجهات جديدة رسمها التاريخ الحولياني ، و التي تنم عن تصالح عميق مع التاريخ كان من تجلياتها انتعاش كتابات السير ( la biographie modal ) ، لكن بخلاف ما كان سائداً من قبل ، حيث ينبغي لسرد حياة شخص أن يخدم " نموذجاً مثالياً " يتجاوز شخصية الفرد ، و كان نتاجها تناول قضايا اجتماعية من خلال السير الفردية (طحطح، خ. 2012: 93) .

و مجمل ما يمكن أن نخصده من اسهامات رواد التاريخ الحولياني ، أنهم أوجدوا منهجاً يضمن لها دوام الإستمرار ، و ذلك من خلال مواكبة التطورات و القضايا الراهنة ، علاوة على ذلك عملوا على الإحتكاك بمختلف العلوم الإنسانية بغية تطوير المنهج البحث التاريخي و توسيع أفقه ، واضعين في حساباتهم أمراً على غاية من الأهمية و هو محافظة التاريخ على هويته و مكانته و عدم الإنسلاخ أو الذوبان في بوتقة العلوم الإنسانية و الإجتماعية الأخرى .

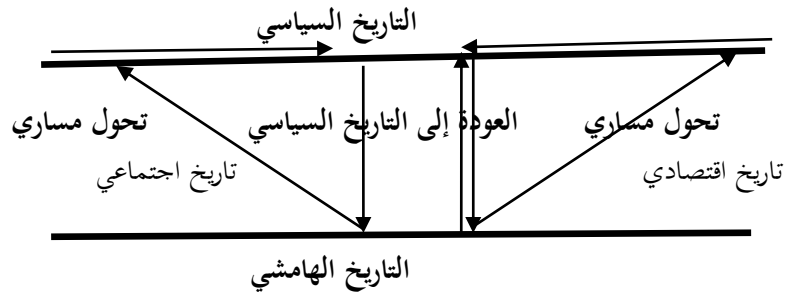
### - الإسهامات المنهجية للمدرسة :

تعددت الإسهامات التي قدمتها مدرسة الحوليات للتاريخ و منهجية البحث التاريخي و يمكن إبراز أهم هاته الإضافات في النقاط الآتية :

- إبراز مجموعة من الإشكاليات و المناهج الجديدة ، ساهمت في صقل التاريخ الجديد مثل : الديمغرافيا التاريخية ، التاريخ الديني و الاجتماعي ، و تناول مواضيع أنثروبولوجية كالغذائية و الأسطورة (لوغوف، ج. 2007: 88، 112) . و من تلك المقاربات الثرية بأبعادها ما طرحه على سبيل المثال بيير نورا في دراسته " للذاكرة الجمعية " ، لثعد من ملامح التجديد في الخطاب التاريخي (ياسين ، البحياوي. 2018: 115) ، " باعتبار أن الرجل المؤرخ هو الرجل الذي لديه مشكلة ، و هذه المشكلة مستمرة لمنعه من النوم " ، " est l'homme qui a un problème , et ce problème va l'empêcher de " (dormir " (Marrou , henri – Irène) : 1954 ، 437) بمعنى إيجاد إشكالية تاريخية ، مما سيثري البحث التاريخي دون شك .

- تجاوز الوثيقة و الأرشيف في شكلها التقليدي ، و ربط البحث التاريخي بالنقد و التحليل ، و من ثم اسقاط قدسية الوثيقة و الأرشيف الرسمي ، و تماشى هنري مارو (Marrou , henri – Irène) (ibid ، 1954: 437) مع هذا الطرح بالقول : " يتم إنجاز التاريخ بالوثائق ، لكن الوثائق ليست هي القصة بأكملها ، يمكن أن تؤدي إلى صواب أو خطأ إنهم لا يقولون كل الماضي الذي نعترف به " l'hitoire se fait avec des documents , mais les documents ne sont pas toute l'histoire , ils peuvent conduire au vrai ou à l'erreurs , ils ne disent pas toute le passé , que nous ne reconnaissons.

- الخروج بالتاريخ من بؤر الإنغلاق و التأكيد على التاريخ الإقتصادي و الإجتماعي و رفض التاريخ السياسي الحداثي ، كما نادى هؤلاء بتاريخ معمق كلي ، و التخلّص من التاريخ التقليدي الفقير و المنحط (لوعوف، ج. 2007: 88) ، و الإنتقال إلى دراسة تاريخ الذهنيات و التاريخ المتخيل و البنى و المهمشين ، لذا أصبح من الممكن أن يتخذ المؤرخ موضوعه من حدث مهم أو غير مهم ، من سيرة شخص أو مكان أو عادة أو من ممارسة ما . (الريماوي، م. د. ت. 102) ، مع إعطاء مساحة لدراسة اهتمامات و مشاكل الإنسان الأوربي المعاصرة ، و اختزال البحث فيما هو " اجتماعي ، تمثلي ، و تصوري ، واقفي ... حيث وجهوا البحث و الكتابة نحو المواقف و التمثيلات الإنسانية التي رصدتها الوثائق التاريخية بمفهومها الشامل ، بفضل اقتحام أورايش المعتقدات الشعبية و العقلية الجماعية ، لتجاوز التاريخ " النخبوي التقليدي " ( أبرهموش، م. د. ت. 2) ، و يمكن رصد هذا الانقلاب في تناول المواضيع ومعالجة الأحداث التاريخية بالمخطط الموالي :



- شكل رقم ( 02 ) ( إنجاز الباحثين ) : يوضح تحول مسار الكتابة التاريخية عند مدرسة الحوليات .

- التأكيد على " فن طرح المشكلة ودقة صياغة الفرضية " ذلك أنّ قيمة البحث التاريخي تتجلى أساساً في انتقاء مسألة و كيفية تحليلها للوقوف على أبعادها و فهم كنهها ، من جهة أخرى عليه تحديد " فرضية معينة " ينطلق منها ، الفرضية هي " المحرك الأساسي للباحث و هي تجعل الوثيقة تنطق و تتكلم ، و يكون البحث أكثر خصوبة ، كلما كانت الفرضية محكمة الوضع ، و صاحبها ثاقب البصر " ، و هذا أمر لا يخالطه شك و الكثير من الأبحاث الجادة كان هذا سر فعاليتها و ما حصده من نتائج . (الصباغ، ل. 1999: 104).
- طرح فكرة " الأمد الطويل " ( Temps long ) ، من قراءات التي أضافها التاريخ الجديد ، و قصدوا به أن التاريخ يمر سريعاً ، لكن القوى العميقة التي تصنع التاريخ لا يمكننا الوقوف عند تأثيرها إلاّ إذا عبر الزمن الطويل (لوعوف، ج. 2007: 113) ، و التي تبناها فرناند بروديل كما أشرنا سابقاً ، و يمكن تمثل الأطر الزمنية التي قننها بروديل بالمخطط الموالي :

الأمد المتوسط أو الدوري ( من 10 - 50 سنة ) .

الأمد القصير ( حدث قصير ) .

- شكل رقم (03): (إنجاز الباحثين) الأطر الزمنية عند بروديل. (تم رسم الشكل بالإعتماد على: (مجاهد، م. د. ت: 26) ، (بروديل، ف. 1993)، (حبيدة، م. 1993: 82 - 89) .

إنَّ المفاهيم الجديدة التي تبنتها مدرسة الحوليات في قراءتها للحدث و إعادة بعثه في حلَّة جديدة ، من مثل ما طرحه بروديل حول " فكرة الأمد الطويل "، و " التاريخ الجامد " ( Histoire Immobile ) مع إيمانويل لوروا لادوري ، حيث لم يصبحوا يبحثون عن القوى المسببة للأحداث بقدر محاولة فهم آثار ذلك الحدث عبر الزمن الطويل ، و الذي يبقى يمدَّ بجذوره حتى الفترة الحاضرة ( طحطح ، خ و المهاجر ، ي . 165: 2015-168 ) .

- تبنت المجلة طريقة عمل جماعي ، إذ خلقت شبكة كبيرة من الأصدقاء و القراء داخل فرنسا و خارجها ( التيمومي، ه: 181) . و ما يمكن الختام به في هذا العنصر هو المصير الذي ستؤول إليه مدرسة الحوليات و التاريخ الجديد ، و قد توقع أحد رجالها ثلاثة آفاق للدراسات التاريخية وفق المنهج الحولياتي:

- أ. أن يصير التاريخ علمًا يتغلغل في كل مجال معرفي ، و يتلعبها ليكون " مدًا تاريخيا " ، بوصفه علمًا شموليا لدراسة الإنسان .
- ب. أن تلتحم العلوم الإنسانية الثلاثة المتقاربة في موضوعها ، و هي التاريخ و الأنثروبولوجيا و علم الاجتماع ، و أمام هذه الفرضية قد يسمى بول فاين هذا العلم الجديد ب " التاريخ السوسولوجي " ، و إن أحبذ تسميته ب " الأنثروبولوجيا التاريخية " .
- ج. الإحتمال الثالث و الأخير ، هو أن يحدث التاريخ قطيعة ابستمولوجية مع ماضيه ، و يتخندق في متارس جديدة و أن يتوقف عن مغازلة العلوم الإنسانية . (لوغوف ، ج. 2007: 133-134 ) .

## 5 - الإنتقادات الموجهة لمدرسة الحوليات :

لم تكن مدرسة الحوليات بمنأى عن الإنتقادات الموجهة إليها ، من بينها حديثها عن علمية التاريخ ، التي أبقى أن يتعاطى معها الكثيرون ، بل و لم تلق استحسانهم ، ففاليري ( Valérie ) ( 1871-1945 ) على سبيل المثال لا الحصر يسخر من مزاعم التاريخ العلمية ( من موضوعيته الظاهرية ) " إن التاريخ لا يعلمنا سوى المؤرخين : هل لهم أسلوب ، فطنة ، موهبة في مهنة ، جعلنا نؤمن بوجود ( أسباب ) أو قوانين (....)إنه فن ، و لكن لا أكثر " ( توليه ، غ، وتولار، ج. 1999: 25 ) ، كما رفض ميشال فوكو ( Michel Foucault ) ( 1926 - 1984 ) من جهته الأمر لكن كان أقل حدة حيث اعتبر أن التاريخ لن يكون أبداً وصف للتطور كما هو الأمر في علوم البيولوجيا ، لكنه رحب من جهة أخرى بالتحول الذي أضافه التاريخ الشامل (فوكو ، م . 147: 1987) .

إنَّ هذه الإنتقادات تُنَبِّي أساسًا على خصائص دراسة العلوم الإنسانية ، ذلك أن الموضوعية فيها هي مشكلتها المحورية ، و من يقف على دراستها يتبين له الصعاب التي تعترض الباحث ، لكي يبلغ مستوى العلوم الطبيعية و نجاحتها أو يتمثل روحها و طابعها (قنصوة ، ص. 2007: 74) .

لقد كانت محط نقد لاذع من قبل الكثير من السوسولوجيين الذين عابوا منهجهم الساكن ، فعالم الاجتماع فرانسوا سيممان ( françois simmand ) في مقاله " المنهج التاريخي و العلوم الاجتماعية " الصادر عام 1901 م وصف المؤرخين على أنهم أناس ظرفاء ليس إلا و " التاريخ ليس علمًا و منهجه عديم القيمة " ، كما هاجمهم الماركسيون أثناء الحرب الباردة لميلهم للنظام الرأسمالي، لذا فإنَّ مؤرخي الحوليات عرجوا لدراسة بعض المفاهيم الماركسية ، نلمس ذلك من خلال بعض نتائجهم الفكري "نمط الإنتاج الآسيوي " و " الإستبداد الشرقي " و من جملة الإنتقادات أيضا الإهمال التام و الكلّي للتاريخ السياسي منذ صدور أولى أعدادها و اعتبروه قصورًا لذا فإن مؤرخو الحوليات قد عمدوا فيما بعد إلى المزج بين المواضيع ذات الطبيعة السياسية - الاجتماعية . ( عبد الواحد محمود ، م. 2005: 265) .

كما طرحت مسألة العلاقات بين التاريخ و العلوم الإنسانية العديد من التساؤلات و الإشكالات ، ذلك أنها تؤدي إلى اضمحلاله و تخليه عن مناهجه الخاصة ، بل اعتبرها البعض اعلان عن نقد صفة التاريخ و اعلان موته.

و كان لإقتصار مؤرخي الحوليات على دراسة التاريخ الأوربي ، أيضا من بين الإنتقادات التي تجاذبها البعض بل يمكن اعتبار التاريخ المدروس من قبلهم " التاريخ الأوربي المركزي " " Europèocentrisme " ، بل " الفرنسي المركزي " ، رغم تصريح لوغوف منذ البداية أنه لا يسعى مع زملائه إلى التركيز على المنهج التاريخي الأوربي. (لوغوف، ج. 2007: 17، 430).

وجه العروى من جهته انتقاداً شديداً للّهجة لمدرسة الحوليات ، فقد كتب في مؤلفه بالخط العريض (منهجية بلا قاعدة معرفية - شمولية أم تلفيق ؟) ، حيث اعتبر أن التاريخ الشمولي جعل من المؤرخ جماعاً طفيفاً ، و من التاريخ مجرد فتات ، والإنتفاخ في كلّ الإتجاهات حتى العودة إلى التاريخ الحديث الذي كانت تنبذه ، "و هكذا ما كان مرفوضاً غير مستساغ عند مؤسسي المدرسة أصبح اليوم مقبولاً و ربما مطلوباً .... و السبب الأول و الأهم هو إخفاق التنهاج" ، و العلة الكامنة وراء ذلك أنه في فرنسا "لم تكن أبداً المعرفيات في مستوى المنهجيّات". (العروى، ع. 2005: 193-195).

و ما يمكن الخلوص إليه هنا أن مدرسة الحوليات هي الأخرى وجهت لها عديد الإنتقادات لتناسيها أو تجاهلها بعض الجوانب و الطروحات ، و كان أمراً طبيعياً في ظل الصراع المنهجي بين المدارس فكل منها تحاول افتكاك ورقة الصلاحية و المشروعية لتطبيق مناهجها في دراسة التاريخ ، لكن ما يمكن استخلاؤه بوضوح هو قدرتها على التأقلم و مراجعة أطروحاتها فيما تقدم لها من بعض الانتقادات ، ومعاودة مواصلة مسارها ، و هذا لا يعد عيباً " فلكل فرس كبوة " ، لكن الأهم هو نخوضها عند كل كبوة أو انتكاسة رافقت تاريخها الطويل ، لكن هذا لا يعني صحة تكامل المنهج الذي طرحته و خلّوه من أي عيب أو نقص .

## 6 - المؤرخ العربي و مدرسة الحوليات - بين الواقع و المأمول - .

لقد منح مؤرخوا الحوليات للمنهج التاريخي مساهمة قيمة في دراسته و تحليله و الكيفية المثلى للتعاطي معه و لا ننسى أن ثمة جهدهم جاءت من فراغ ، بل من سهر الليالي و عمق التفكير والتعب نفسي و البدني و إذ كنا نحن كعرب نتغنى دائماً بسبقنا لعديد الأطروحات التي قدمها لنا الغرب في قوالب جاهزة و لسنا في معرض لنفي هذه الحقيقة فالتحولات التي أخذ الثنائي الفرنسي مارك بلوخ و لوسيان فيفر برباطها لمدرسة الحوليات إنما هي في الأصل من عمق الطرح الخلدوني . (الريماوي، م. د. 98) ، لكن تم تطويرها و إخراجها إلى فضاء أرحب ، فنجد علامتنا ابن خلدون ينبه إلى الأثر و الطرق التي ينبغي تناول الحوادث التاريخية بقوله: "و في باطنه نظر و تحقيق و تعليل للكائنات و مبادئها دقيق ، و علم بكيفية الوقائع و أسبابها عميق ، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق ، و جدير بأن يُعدّ في علومها و خليق" (ابن خلدون، ع. 2001: 6) ، و لن تسعنا الأوراق إذا ما أردنا الحديث عن مساهمات المفكرين العرب في سبيل تمحيص الحوادث التاريخية ، و كتابة تاريخ نقي في الكثير من جوانبه من الشوائب و الأكاذيب ، وما نريد أن نبه إليه هاهنا أن الموروث العربي لا يخلو بذور النماء المنهجي الذي تنبأه رواد التاريخ الحولياتي و صدحوا به ، غير أنها لم تجد العناية الكافية من الأعلام العربية فتخرج بها إلى عالم النور والتوطين الفعلي لها .

إذا ما جئنا للحديث عن جلّ ما طرّح في مدرسة الحوليات ، و موقف المؤرخين العرب ، نجد أشكال انفتاح العلوم الإنسانية و الإجتماعية على بعضها كان حاضراً ، ذلك أن هناك من تشبث بنظرة تقليدية لعلم التاريخ تقوم على الفصل النظامي بين الأقسام و الحقول ، و على الفصل المنهجي بين الاختصاصات و طرائقها ، هذا من جهة و من جهة أخرى هناك من دعا إلى التجديد في التاريخ على مستوى المنهج و الحقل ، مع تعميق علاقته الإيجابية بالعلوم الإجتماعية لا علوم مساعدة بل كعلوم متكامل و تتعاقد مع التأريخ البحثي (الكوثري، و. 2013: 400).

إنّه منذ سبعينات القرن العشرين كان هناك الكثير من الكتابات العربية مشرقاً و مغرباً تُعنى بمسائل البحث التاريخي الجديد ، منها المؤرخ المغربي أحمد توفيق صاحب أول رسالة دكتوراه باللغة العربية ، و التي ناقشها في السبعينات و جاءت موسومة بـ " المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (1850-1912) ، حيث عكف من خلالها على تقديم دراسة شاملة للمغرب خلال القرن التاسع



عشر مستنداً في ذلك على السجلات المحلية و الوثائق المخزنية (نيقولا، م. 1997: 49)، وكذا كتاب حسين بوجرة " الطاعون و بدع الطاعون - الحراك الاجتماعي في بلاد المغرب بين الفقيه و الطبيب و الأمير ( 1350 - 1700 )"، كما تناول مؤرخون مغاربة أيضاً إبراهيم القادري بوتشيش عديد المواضيع التي تطرح قضايا التاريخ الهامشي، و عبد الهادي بياض الذي تعاطى هو الآخر مع موضوع على قدر كبير من الأهمية بدراسة " الكوارث الطبيعية و أثرها في سلوك و ذهنيات الإنسان في المغرب و الأندلس ( ق 6- ق 7 هـ / 12-13 م )"، كما درس حميد تيتاو الحرب و أثره على المجتمع بالمغرب خلال العصر المريني (أنظر التعليق رقم 10)، و في هذا الصدد أشار أحد الباحثين أن التجديد على مستوى البحث التاريخي قائم لدى النخب الأكاديمية المغربية، أكثر مما هو لدى المشاركة. (الكوثري، و. 2013: 400 هامش 12: 401).

و من المؤرخين المتأثرين بالفكر الحوليائي على نحو غير مباشر منذ مدة مبكرة من القرن العشرين من العراق نذكر المؤرخ علي الوردي على سبيل المثال. (عبد الواحد محمود، م. 2005: 268) (أنظر التعليق رقم 11)، لكن رغم ذلك لا يزال التاريخ العربي في حاجة لمن يكتبه و يُزيل الغموض عن الكثير من القضايا المطروحة فيه و ذلك " بتجديد المسألة و بتنويع المقاربات، و بالتخلي عن قدسية الوقائع و بطولية الشخصيات التاريخيين". (لوعوف، ج. 2007: 27).

لكن التساؤل الذي يطرح نفسه هو المقترون بقلب الأدوار فإذا كان مؤرخوا الحوليات، قد استلهموا التجديد على مستوى المنهج و الكتابة التاريخية، حقيقة من الظروف التي عايشوها طوال فترة الحروب و الأزمات التي ألمت بهم، أو يمكن اعتبارها بمثابة محفز قوي لحدوث استجابة فعالة على مستوى منهج البحث التاريخي، و كنّا قد أشرنا إليها سالفاً في حديثنا عن ظروف نشأة المدرسة، فيحق لنا أن نتساءل مع الباحث محمود عبد الواحد محمود ليس فقط عن العراق بل عن الوطن العربي كافة، الذي لم يشهد الاستقرار عبر تاريخه الطويل.

لقد كانت هذه الظروف مادة دسمة يُمكن أن تكون مختبراً على حدّ تعبير الباحث لتطبيق العديد من الفلسفات التاريخية و إتجاهاته أو استنباط مدرسة تاريخية جديدة. (عبد الواحد محمود، م. 2005: 269)، و لم يحدث أي شيء، فماذا يعوزنا لتحقيق هذا التوجه على أرض الواقع؟، إن كان الإرث الثقافي فهو زخم و مثقل بأفكاره و قضاياها؟، لا شك أن هذا يقودنا للحديث عن الإفلاس الذي أصبحنا نشهده، فلا الحروب التي عصفت بنا استطاعت أن تحرك توجهاتنا الفكرية و لا أن تخلق فينا إحساساً بالأزمة التي خيمت و لا تزال على تاريخنا و واقعنا العربي؟؟.

و حسب رأي الباحث نصر الدين سعيدوني أنّ العالم العربي يعيش أزمة مضاعفة؛ سواء كان ذلك من حيث المنهج وطريقة المعالجة، أو من حيث البحوث المتناولة كما أشار إلى بعض طروحات المؤرخين العرب، كقسطنطين زريق الذي نقد استخدام مناهج بلوخ بشيء من الضمنية في كتاباته، وكذلك ما كتبه بعض المؤرخين الأكاديميين لاحقاً من أمثال وجيه كوثري و وليد نويهض اللذين حاولا التعريف بمنهج مدرسة الحوليات وتوجهاتها، و ذهب إلى قول مفاده عدم تجاوب المؤرخ العربي مع التوجهات البحثية و المنهجية لمدرسة الحوليات، بسبب وجود تيارين من المؤرخين في الوطن العربي، الأول حافظ على التوجه المنهجي للمدرسة الوضعية، فحاول التعرف إلى واقع الدراسات التاريخية في الغرب، دون الاستفادة منها في صقل مقارباته و مناهجه، و خلص إلى إبراز الفجوة و الأزمة التي تعصف بالمؤرخ العربي و كتابة للتاريخ، باستثناء بعض المؤرخين الذين سمحت لهم الظروف أن يمارسوا البحث التاريخي في الأوساط العلمية الأوروبية، أو أن يحضروا رسائل جامعية بإشراف أساتذة يأخذون بمنهج مدرسة الحوليات وطريقة تناولها ومنظورها (سعيدوني، ن. 2018: ( <https://www.dohainstitute.org/> )).

و رغم هذا لا نعدم عديد المبادرات التي لفتنا الإنتباه إليها و التي تحتاج إلى رصد و تقويم و احصاء لتنظيمها و ترتيبها، و معرفة طبيعة المواضيع التي طرقتها متأثرة بمسار الطرح المنهجي التاريخي لمدرسة الحوليات، و التي لا شك تحتاج لدراسة منفصلة، لذا نرجو أن يستفيد المؤرخون في الوطن العربي من الطرح المنهجي لمدرسة الحوليات، و ليس هذا فقط بل يحاولون أن يكتفوه حسب طبيعة تاريخهم

و معطياته ، ذلك أن " لكل زمان و عصره مخياله الاجتماعي الخاص و منابع قيمه الخاصة حافزه الأخلاقي ، و رموزه و دلالاته التي يتحدد بها عالمه الاجتماعي ". (الكيلاني، ش.د.ت: 14). (أنظر التعليق رقم 12).

إن التراجعات و النكسات التي تشهدها الأمة العربية ، وما يخنقها من مؤامرات ، كلها تدعو المؤرخ العربي إلى إعادة قراءة تاريخه ، وعقد تصالح معه ، وتفحصه بوعي و فهم صحيحين و معالجة موضوعية ، و السعي للوقوف عند إيجاد تفسيرات لهذه النكسات التي بقينا نتخبط في وحلها لأمد طويل دون أن نمسك بزمام المعضلة ، فبقي الداء ينخر مجتمعاتنا ، و بقينا نتهوى دون أن نهض من جديد لتتابع التعاطي مع واقعنا و رسم مسيرة تاريخية مُنمّحة واضحة المعالم و التوجهات ، وهذا ما نأمل أن يأخذ به المؤرخ العربي ، فيُساهم في خط أبعاد معمقة لفهم لصيورته التاريخية وما يطرأ عليها أو يتحدد فيها .

## 7 - خلاصة :

و في ختام هذا الطرح لا يسعنا إلا التنويه بفضل مختلف المدارس التاريخية الأوربية في النهوض بالكتابة التاريخية فقد كانت مساهمة كل واحدة من هذه المدارس جرعة مُضافة لتقوم منهج الكتابة التاريخية وتنوع مقاربات التعاطي تفسير حوادثها التاريخية. بذل مؤرخو الحوليات جهداً لقراءة التاريخ ، و استنباط أحداثه ، و تطوير منهجه و التي أثبتت فعاليتها و قدرتها على التأقلم أمام الهزات الفكرية التي اعترضت مسار طريقها الطويل ، لقد هيأت الظروف التي عاشتها فرنسا هذه النخبة التاريخية للإستفادة من أخطائها ، باعتبار أن المؤرخ هو حارس هوية البلاد و المدافع عنها ، و كان قلمهم سلاحهم لمواجهة الغطرسة الفكرية للألمان التي قطعوا فيها أشواطاً مضافة مقارنة بالفرنسيين في ذلك الوقت ، و استطاعوا بجهودهم من خلال ما قدمته مدرسة " الحوليات " للتاريخ و المنهج التاريخي ، رغم الإنتقادات اللاذعة التي وجهت لشخصها و نحن في اعتقادنا لا نستبعد نسبة الحقيقة في التاريخ ، بالنظر إلى طبيعة هذا الأخير ، إلا أن مساعي الإقتراب منها مسعى يستحق أن يُباركه .

إنه من الضروري أن يشهد الوطن العربي هو الآخر حراك جذري و معمق في سبيل إعادة قراءة تاريخه ، و لما لا تأسيس مدرسة منهجية خاصة به ، خصوصاً أنه لا يعوزه التراث و لا الظروف الحانقة التي يمكن أن تنبئه لتفسير الكثير من اشكاليات مجتمعاته و الوقوف عندها ، كما يجب أن ننبه إلى ضرورة الإستفادة مما قدمته المدرسة الفرنسية مع محاولة رسم سياق صحيح و مُمّنهج في تناول المواضيع التي تهم المجتمع العربي و ترسم دينامية حياته في مختلف جوانبها عبر تاريخه الطويل ، و هي نقطة جد مهمة و جب مراعاتها أو بتعبير آخر قوليتها وفق ما يتماشى و تاريخ الوطن العربي الكبير مع الإستفادة من التصور و بُعد النظر للفكر الحولياني في قراءته للأزمات التي عصفت و تعصف به دون أن يهتدي لأسباب الفشل التي كُرس مفهوم الإنحطاط.

## - التعليقات :

1. ألماني ولد في ترير (Terier) لأسرة يهودية في منطقة الراين ، اهتم منذ صغره بالشعر و الفلسفة ، حصل على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة جينا (Jena University)، عيّن في الجامعة بألمانيا ثم أخرج منها بسبب آرائه الهيجلية ، انتقل إلى فرنسا من 1843-1845)، و إلى بروكسل من (1845-1848)، تزامن مع أنجلز و أسسوا ما أطلق عليه بالماركسية. ينظر: (شهاب ، و.د.ت: 44).
2. ألماني كان صديقاً وزميلًا ماليًا لماركس أثناء إقامته في بريطانيا ، وكان له دور في عرض المبادئ الرئيسية للمادية الجدلية ، له عديد المؤلفات منها " جدل الطبيعة " ، " الاشتراكية طوباوية و علمية " ، كما اشترك مع ماركس في تأليف " بيان الحزب الشيوعي ". (الموسوعة الفلسفية المختصرة ، د.ت: 81).
3. ألماني ولد في 27 أغسطس 1770، بمدينة أشتوتجارت، يرجع أصل أسرته إلى يوهان هيغل الذي هجر إلى ألمانيا تحت اضطهاد النمساويين للبروتستانت ، ظهرت نبأته منذ سن مبكر، عمل مدرساً في بعض فترات حياته ، و بقي على اتصال بأجواء الفلسفة الألمانية عن طريق خطابات هيلدرلين و شيلنج ، لهيغل العديد من المؤلفات منها علم المنطق (1812-1816)، فلسفة التاريخ (1837)، تاريخ الفلسفة (1833-1836). ينظر: الديدي، ف. 2001: 9، 17.

4. فرنسي ولد بمدينة ايبينال (Epinal) بمقاطعة اللورين ، استكمل دراسته بمدرسة المعلمين العليا ، شغل مناصب عدة ، حيث عين بجامعة (Bordeau) بفرنسا سنة 1887م ، حيث أخذ كرسيا في علم الاجتماع ، ثم بعد عين بجامعة باريس 1902م التي أصبح أستاذا بها في علم الاجتماع ، له اسهامات هامة في علم الاجتماع منها : الأشكال الأولية للحياة الدينية سنة 1897م ، تقسيم العمل في المجتمع سنة 1893 ، وله دراسة معمقة عن الانتحار سنة 1951، ينظر ( شهاب ، و.د.ت:24).
5. المدرسة الجغرافية الفرنسية: من روادها لابلاي (le blay) ، و ديمولان (Demolin) ، و لابلاش (la blache) ، و ديمانجون (Demangeon) ، و إلى جانب اهتمام رواد المدرسة الجغرافية بالموضوعات البشرية ، فقد تفوقوا أيضا في الدراسات الإقليمية ، واعتمدت أساليب علمية تقوم على الشرح و التحليل بالخرائط و الرسوم ، كما نشير أن هذه المدرسة انبثقت متأثرة بالمفاهيم و الأفكار الجغرافية التي كانت سائدة في ألمانيا ، ينظر ( عبد العال ، أ.2006: 9 ، 57 ).
6. للوقوف على ما أسهم به الألمان في حقل التاريخ و فلسفته ، ينظر : (إلر سارنر، ه.د.ت:266 و ما بعدها).
7. و لد في فيفري من عام 1878م تلقى ثقافته في نانسي ( nancy ) ، ثم في باريس في مدرسة المعلمين العليا في السوربون ، عين عام 1919 م أستاذاً في ستراسبورغ ثم في الكولا جدي فرانس ، من أعماله : مارتن لوثر ( martin luther ) ( 1928 ) ، مسألة اللايمان في القرن السادس عشر دين رابليه ( 1942 ) ، حرب الفلاحين في ألمانيا ( problème de l'inerogance au xvi : la Religion de rabelais ) م) ، أسس في مطلع 1929 م مع صديقه و زميله مارك بلوخ مجلة حوليات التاريخ الاجتماعي . (الكوثاني، و.2013: 207).
8. ولد عام 1886 م ، تابع دروسه في المدرسة العليا للمعلمين ، و بعض الحلقات الدراسية في جامعات الألمانية " ليبزيغ و برلين منذ عام 1919م و حتى عام 1936 م عمل أستاذاً في جامعة ستراسبورغ من أعماله الكبرى " السمات الأصلية للتاريخ الريفي الفرنسي : تحليل لتطور البنى الزراعية في الغرب الوسيط و الحديث من القرن الحادي عشر إلى الثامن عشر ( 1931 م ) ، و سلسلة مقالات في مجلة الحوليات التي أسسها مع صديقه فيفر ، انتقل إلى باريس عام 1936 م ، كتب أيام الحرب 1941 م ، مخطوطته الشهيرة " تمجيد التاريخ " مهنة المؤرخ ، (( Apologie pour l'histoire ou métier d'historien ) ، انضم خلال الحرب إلى المقاومة الفرنسية ، اعتقل على يد الإحتلال النازي ، و أعدم في عام 1944 ، ( نفس المرجع ، 2013 : 209).
9. مؤرخ فرنسي ، بعد اكمال اختصاصه العالي في التاريخ ( Agègation ) ، عمل في الجزائر مدة عشر سنوات بين عامي 1923 – 1932 م و هناك اكتشف المتوسط الذي سيكون موضوعاً لأطروحته في دكتوراه ، تعرف إلى لوسيان فيفر الذي أصبح صديقه و أستاذه و الذي نصحه بتحويل أطروحته التي كان سجلها عام 1923م من " سياسة فيليب الثاني المتوسطية " ، إلى دراسة شاملة عن " المتوسط في عهد فليب الثاني " ، تسلم رئاسة مجلة الحوليات بدءاً من 1947م ، نفس المرجع ، 2013 : 212).
10. الإشارة المرجعية لبعض الدراسات المشار إليها : (بوتشيش، إبراهيم القادري .(2014). المهمشون في الغرب الإسلامي(ط1). القاهرة: دار رؤية ، تيتاو، حميد(2009). الحرب والمجتمع خلال العصر المبرني (609-869هـ/1212-1465م)-إسهام في دراسة انعكاسات الحرب على البنيات الاقتصادية والذهنية(د.ط).الدار البيضاء: مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود.
11. علي الوردي مؤرخ عراقي ذا أثر كبير من بين مؤلفاته : منطق ابن خلدون - في ضوء حضارته و شخصيته ، و خوارق اللاشعور أو أسرار الشخصية الناجحة ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث من بداية العهد العثماني حتى منتصف القرن القرن التاسع عشر ، ج 1 - 6 و غيرها من مؤلفات الأخرى .

12. نشير هنا أن البحث في قضية تفاعل المؤرخ العربي مع المدارس الغربية من عدمها ضعيف في الأبحاث المنجزة حسب اطلاعنا ، و هو شأنه بالنسبة لمدرسة الحوليات ، غير أنه أمكننا الوقوف على مؤلف جديد ، وقف عند هذا الأمر ينظر : مایع حسین ، مدرسة الحوليات الفرنسية و أثرها في المؤرخين العرب ( صالح أحمد العلي نموذجاً ) ، دار القناديل ( لم ينشر بعد حسب اطلاعنا ).

#### - قائمة المصادر و المراجع :

##### أ. المصادر:

- 1) ابن خلدون ، عبد الرحمان.(2001).مقدمة ابن خلدون.(د.ط).لبنان:دار الفكر للطباعة و النشر.
- 2) ابن منظور، جمال الدین أبو الفضل محمد.(د.ت).لسان العرب.(د.ط).القاهرة:دار المعارف.

##### ب. المراجع:

##### 1. الكتب العربية و المعربة:

- 1) أبرهوش، محمد.(د.ت).تاريخ المغرب و الأزمان الذهنية.(د.ط).الرباط:مؤسسة مؤمنون بلا حدود.
- 2) بدوي، أحمد زكي.(د.ت).معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية.(د.ط).بيروت:مكتبة لبنان.
- 3) بروديل،فرنان.(1993).المتوسط و العالم المتوسطي.(ط1).لبنان:دار المنتخب العربي.
- 4) تويليه ، غي ، و تولار،جان.(1999).صناعة المؤرخ.(ط1).دمشق:دار الحصاد للنشر و التوزيع.
- 5) التيمومي،الهادي.(2013).المدارس التاريخية الحديثة.(ط1).لبنان:دار التنوير للطباعة و النشر.
- 6) جان بيار ، بيار ، لوفيفر،ماشيري.(1993).هيجل و المجتمع.(ط1).بيروت:المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع.
- 7) دوس،فرانسوا.(د.ت).التاريخ المفتت من الحوليات إلى التاريخ الجديد.(ط1).بيروت:المنظمة العربية للترجمة.
- 8) الديدي،الفتاح.(2001).هيجل.(د.ط).القاهرة:دار المعارف.
- 9) زناقي، أنور محمود.(2007).علم التاريخ و اتجاهات تفسيره.(د.ط).القاهرة:مكتبة الأنجلو مصرية.
- 10) سيغموند،فرويد.(1982).مساهمة في تاريخ حركة التحليل النفسي.(ط2).بيروت:دار الطليعة للطباعة و النشر .
- 11) سيغموند،فرويد.(1986).مختصر التحليل النفسي.(ط2).بيروت:دار الطليعة للطباعة و النشر.
- 12) شهاب،محمد.(د.ت).رواد علم الاجتماع.(د.ط).د.ب:كتب عربية.
- 13) الصباغ،ليلي.(1999).دراسة في منهجية البحث التاريخي (ط8).د.ب:منشورات جامعة دمشق.
- 14) صليبا،جميل.(1982).المعجم الفلسفي.(د.ط).بيروت:دار الكتاب اللبناني.ج1، ج2.
- 15) الطاهري،عادل.(2018).الجابري و الحوليات اللقاء المنهجي الصامت(د.ط).الرباط:مؤمنون بلا حدود للدراسات و الأبحاث.
- 16) طحطح ،خالد.(2012).الكتابة التاريخية (ط1).د.ب :دار توبقال للنشر.
- 17) عبد العال،أحمد محمد.(2006).دراسات في الفكر الجغرافي.(د.ط).د.ب:د.د.ن.
- 18) عثمان،حسن.(د.ت).منهج البحث التاريخي.(ط8).القاهرة:دار المعارف.
- 19) العروي،عبد الله.(2005).مفهوم التاريخ- الألفاظ و المذاهب، المفاهيم و الأصول.(ط4).لبنان:المركز الثقافي العربي.
- 20) غزوتزين،برنار.(1982).فلسفة الثورة الفرنسية.(ط1).بيروت،باريس:منشورات عويدات.
- 21) فوكو، ميشال.(1987).حفريات المعرفة.(ط2).لبنان ، المغرب :المركز الثقافي العربي.
- 22) فولغين،ف.(2006).فلسفة الأنوار.(ط1).بيروت:دار الطليعة للطباعة و النشر.
- 23) قنصوة ، صالح.(2007).الموضوعية في العلوم الإنسانية .(د.ط).دار التنوير للطباعة و النشر.
- 24) الكوثري،وجيه.(2013).تاريخ التأريخ -اتجاهات-مدارس-مناهج(ط2).الدوحة:المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات.

- 25) الكيلاني ، شمس الدين.(د.ت).من العود الأبدي إلى الوعي التاريخي " الأسطورة- الدين -الإيديولوجيا- العلم .(ط1).لبنان: دار الكنوز الأدبية.
- 26) لوغوف، جاك.(2007). التاريخ الجديد(د.ط).بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
- 27) مؤنس، حسين.(1984). التاريخ و المؤرخون.(د.ط).القاهرة: دار المعارف.
- 28) نيقولا، ميشيل.(1997).نشأة المدرسة التاريخية المغربية.ضمن كتاب المدرسة التاريخية المصرية 1970-1995.(ط1).القاهرة: دار الشرق.
- 29) يفوت، سالم.(1991).من التاريخ الكلي إلى التواريخ الفعلية .(ط1).بيروت: دار الطليعة للطباعة و النشر.

## 2. المراجع باللغة الأجنبية:

- 1) Febvre ،Lucien . ( 1992.). Combats pour l’histoire . paris : libraire armand colin.
- 2) Marrou , henri – Irène (1954 ).de la connaissance historique , Revue d’histoire del’Amérique française , Paris, éditions du Seuil.

## 1. المجلات :

- 1) حبيدة ، محمد . ( 1993 ، يناير ). مدرسة الحوليات – مفاهيم التحليل البروديلي . مجلة أمل ، (ع 3 )، 77- 90 .
- 2) الريماوي، مالك.(د.ت).التاريخ و الأدب ...كتابة من القاع الاجتماعي – تفكيك التاريخ و الحكمة الأخرى -، مجلة رؤية تربوية،(ع26)، 96- 105 .
- 3) طحطح،خالد،و المهاجر يوسف.( 2015 ، يناير ).قراءة كتاب "انبعاث الحدث للمؤرخ فرانسوا دوس"،مجلة أسطور،(ع1)، 163- 173.
- 4) عبد الواحد محمود، محمود.(2011 ، تشرين الثاني).مؤرخو العصور الوسطى و تحديد كتابة التاريخ ( مدرسة الحوليات الفرنسية من منظور عراقي).مجلة جامعة تكريت، مج18(ع10)، 245-287.
- 5) مجاهد،محمد.(د.ت). قراءة في كتاب "المعرفة التاريخية في الغرب مقاربات فلسفية و علمية و أدبية"،مركز نماء للبحوث و الدراسات ، 2-33.
- 6) اليحيوي ، ياسين .(2018).الذاكرة الجمعية موضوعاً للبحث التاريخي – دراسة في نماذج مختارة من مؤرخي الجيل الثالث لمدرسة الحوليات ، مجلة أسطور ، (ع 7 ) ، 110-123.

## 2. الموسوعات:

- 1) ترجمة فؤاد كامل وآخرون ، الموسوعة الفلسفية المختصرة.(د.ت).(د.ط).لبنان:دار القلم.

## 1. المواقع الإلكترونية:

- 1) سعيدوني ، ناصر الدين ،(2018 ، 10 أكتوبر )، تأثير مدرسة الحوليات الفرنسية في تطور الدراسات التاريخية العربية ، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات ، الدوحة ، شوهدي في 23 / 02 / 2019 ، في [https://www.dohainstitute.org/\\_catalogs/masterpage/Assets/images/logo.png](https://www.dohainstitute.org/_catalogs/masterpage/Assets/images/logo.png)